نظرية الإسلام السياسية

تأليف

الأستاذ المودودي

(معرب عن الأردية)

دار العروبة للدعوة الإسلامية

بلدة راولپنڈی (پاکستان)

النسخة:

روبية

سلسلة مطبوعات دار العروبة: رقم (١)

نظريةُ الاسلامِ السياسيةُ

تاليف

الاستاذ المودودى

(معربٌ عن الاردية)

☆

دار العروبة للدعوة الاسلامية

بلدة جالندهر (بنجاب ـ الهند)

ثمن النسخة روبيةٌ

الطبعة الاولى : ٤٠٠٠ نسخة

وعُنيت بنشره دار العروبة للدعوة الاسلامية
ببلدة جالندهر (بنجاب - الهند)

عنى بطبعه مسعود الندوى
فى مطبعة رپن' ببلدة لاهور

نظريةُ الاسلامِ السياسيةَ

" الاسلام نظام جمهورى" كلمة كثيراً مَّا نسمع بها اليوم فى الاندية السياسية و المحافل العلمية، وهى لا تزال تعاد و تكرر منذ اواخر القرن الماضى، ولكن الذين ينطقون بها ويلهجون بذكرها، قلما يوجد فيهم من درس الاسلام دراسةً علميةً وانعم النظر فى تعاليمه واجتهد ان يتفطن الى اوضاعه السياسية ووقف شيئامن مجهوداته العلمية ليعرف مقام الجمهورية فى الاسلام، و ماهى اوضاعها واشكالها، وما الفرق بينها و بين الجمهوريات الغربية السائدة فى العالم اليوم؟ فلأجل ذلك ترى البعض منهم ينظر الى ' نظام الجماعة فى الاسلام'، الى عدةٍ من اشكاله الظاهرة' فيلصق به اسم الجمهورية. واماالاكثرون فعقليتهم ضعيفة و معرفتهم بالاسلام ضئيلة' فيرون كل ما راج فى اسواق العالم المتحضر ــــ على حد تعبير الناس ــــ و بالاخص فى الامم المُتَغَلِّبَة عليهم' فيودون ان يثبتوه فى الاسلام زاعمين ان ذلك خدمة جليلة للدين القيم. فكأنّ الاسلام فى اَعْيُنِهِمْ كولد يتيم ساقط لايعيش الا اذا جُعل تحت رعاية رجل ذى جاهٍ ونفوذ' او هم يخافون ان لاعزة

لهم من حيث كونهم مسلمين، ولا ينالون من العزة شيأً الا اذا اخرجوا للناس مبادئ واصولا من دينهم تشبه مبادئ النُّظُم الاجتماعية النافقة فى عصرهم. ومن نتائج هذه العقلية المريضة الشائنة انه لما راجت فى الناس 'الاشتراكية' رواجها قامت طائفة منا معشر المسلمين ينادون فى الناس ان ليست الاشتراكية الا طبعة جديدة ''للاسلام''؛ وحينما سمعوا بالدكتاتورية اخذوا يصيحون : (طاعة الامير) ويدعون بدعايتها، معلنين ان نظام الاسلام الاجتماعى كله قائم على السيطرة (الدكتاتورية Dictatorship). وجملة القول أن نظرية الاسلام السياسية اصبحت اليوم لغزا من الالغاز خيطاً من اجزاء متناقضة، يستخرج منها للناس ما راق لديهم ونفق فى سوقهم. فالحاجة ماسة الآن الى ان ندقق فى المسألة ونكشف الغطاء عن وجه 'نظرية الاسلام السياسية' رجاء ان ينقشع بذلك هذا الظلام الفكرى الضارب باطنابه على المجتمع، وتُلجَم به افواهُ من اعلنوا سفهاً ''ان الاسلام ما جاء للمجتمع الانسانى بنظام اجتماعى ولا سياسى اصلاً'' بل نخرج بذلك العمل للناس نوراً، للذين يَتسَكَّعُونْ ظلمات العصر حيرى لا يهتدون، وهم اليوم فى اشد حاجة الى مثل هذا النور وان كانوا لا يشعرون بحاجتهم اليه.

اساس النظريات الاسلامية كلها

يجب عليك قبل كل شيء ان تعلق بذهنك ولا تنسى ابداً انّ الاسلام ليس بمجموعة جمعت فيها من هنا وهناك عدة من الافكار و طرق العمل المتفرقة المنفصلة بعضها عن بعض، بل هو نظام جامع محكم آسّس على مبادئ حكيمة متقنة؛ واركانه الكبيرة المهمة الى الجزئيات الصغيرة الدقيقة كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطاً منطقياً. وكل ما وضع فيه للحياة الانسانية، لمختلف شعبها من النُظُم، انما هو قد اخذ روحه و اقتبس جوهره من تلك الاصول الاولية؛ ومن هذه المبادئ والاصول تخرج الحياة الاسلامية بمختلف فروعها، كما ترون فى الشجرة ان البذر يكوّن الاصل والجذر، والجذر يكوّن الجذع، والجذع يُكَوِّن الغصون، والغصون تكوّن الاوراق، حتى تكونَ الشجرة باسقة ممتدة؛ ولكن مع امتدادها وبساقتها كل ورقة منها ترتبط باصلها ربطاً وثيقاً؛ فكذلك ان اردت معرفة اية شعبة من شعب الحياة الاسلامية معرفة صحيحةً صادقةً فلامحيد لك من ان ترجع الى اصلها، فانك لن تتمكن من الدخول اليها من غير ذلك الباب ولن تعرف حقيقتها وماهية امرها الا بالامعان فى اصولها وقواعدها التى بها حياتها وهى ملاك امرها.

المهمة التي قامت بها الانبياء عليهم السلام

يعلم كلٌّ منا ولو علماً اجمالياً، أن الاسلام انما هو المهمة التي قامت به الرسل عليهم السلام، ولم تكن رسالة خاصة بالنبي الامي العربي صلى الله عليه وسلم، وانما كانت مهمةَ جميع الانبياء والرسل — صلوات الله عليهم وسلامه — منذ اقدم عصور التاريخ الانساني؛ كلهم يدعون الناس الى الاسلام، الى توحيد الله عزّ وجل والى عبادته وحده؛ هذا ما يعرفه الناس اجماليا، كما قلنا آنفا. لكن يَجْمُل بنا في هذا المقام ان نكشف قناع الاجمال عن وجه المسألة ونسبر غورها، ونتفكر في ان الانبياء، دُعاةَ الاسلام ماذا كانوا يريدون بتوحيد الاله؟ وما معنى عبادة الواحد الاحد وحده؟ وما يدريك ماذا كان وراء قولهم "مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ". وما بال من مضوا من الامم ان كلما جاءهم رسول من عند الله يدعوهم الى عبادة الله الواحد واجتناب الطاغوت، انقضوا عليه وكادوا يكونون عليه لبدا؟ فان كانوا قد ارادوا بقولهم لمن عاصرهم "اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ" أَنْ يسجدوا لله الواحد في معبدهم، واذا خرجوا منها كانوا احراراً في شؤونهم وامور مملكتهم، يفعلون ما يشاؤون وَيُطِيعُونَ من يريدون من الملوك والممالك؛

فان كانوا قد ارادوا ذلك — كَمَا يَظُنُّ النَّاسُ اليَوْمَ — فما بال الحكومات وولاتها، أتُراهُم قد أُصيبُوا فى عقولهم ان يمنعوا رعاياهم الوفيةَ المطيعةَ عن اتيان مثل هذه الفروض والمناسك التافهة ويسلبونهم الحرية الدينية، وإذن فَلِمَ فُتِنَتِ الانْبِيَاء والذين آمنوا بهم؟ فعلينا الآن ان نبحث فى اساس النزاع القائم بين رسل الله الاكرمين وبين الامم الطاغية فى امر الله، تعالى شانه وتباركت اسماؤه،

فان الحقيقة لا تتجلّى للناس بمظهرها التام الا بعد اماطة اللثام عن وجه هذه المسألة.

ان القرآن قد بين فى مواضع كثيرةٍ ان الكفّار والمشركين الذين يجادلون الانبياء، كانوا يعرفون الله ويعترفون له بخلق السماوات والارض وبخلق انفسهم وبأنه هو الذى يدبّر الامور، وهو الذى ينزل الغيث ويرسل الرياح بُشرىً بين يدى رحمته وبيده الشمس والقمر وبيده السماوات والارض ومن فيهن، كما قال الله عزّ وجل:

"قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ؟ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؟ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ؟

قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ؟ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ؟

(المومنون : الآيات : ٨٤ — ٨٩)

وقال " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ..........

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ - (العنكبوت : الآيات : ٦٠—٦٣)

وقال " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ . (الزخرف : ٨٦)

قد اتضح لنا بهذه الآيات انه لم يكن بينهم خلاف فى وجود الله وفى انه خَلَقَ الخلق وبيده ملكوت كل شيءٌ. فمن الظاهر ان الرسل ماجاءتهم ليدعوهم الى تلك العقيدة التى كانوا يعتقدونها ويعترفون بها، فَلِمَ كانت بعثتهم؟ وعلى أى شيء قام النزاع بين رسل الله وبين من أُرسلوا اليهم من الامم؟ يوضح لنا القرآنُ انالرسل كانوا يقولون فى دعوتهم لهم ان الله الذى خلق السماء والارضَ وخلق انفسكم انما هو ربّكم والهكم،

فلاتجعلوا الهاً و رباًمن دونه ولا تجعلوا له انداداً ، ولكنهم لم يكونوا مستعدين لقبوله . فقل لی بالله ماالذی منعهم ان يتقبلوه بقبول حسن؟ وای ضرر كان لهم فيه ؟ وما معنى الاله وما هوالرب؟ وما الذی جعل الانبياء مُصِرِّيْنَ على ان الله هوالرب والاله؟ وما الذی جعل من أرسلوا اليهم يناوؤنهم بمجردما سمعوا بدعوتهم؟

الاله

يعلم كل منا ان الاله معناه (المعبود) والمعبود اصله العبادة ، والعبادة ليست بمعنى النسك الدينية فحسبُ؛ بل العبد الذی يعيش عيشة العبودية، فحياته كلها عبادة . فالقيام بالخدمة، والركوع والسجود والجد والسعی فی اطاعته والقيام بكل ما يأمرُ ويطلبُ، والتذلّلُ لقوته والانقياد لجبروته والاطاعةُ فی كل ماسن له من قانون والمناصبةُ لكل من يكون يخالف أمره وتضحية النفس وبذل المهج فی سبيل رضاه .. .. هذه كلُّهاَ عبادة وهذا هو المعنى الحقيقی للعبادة والمعبود فی الحقيقه هو الذی يعبده المرء مثل هذه العبادة .

الربّ

اما الرب فهو بمعنى المربّی . ومن المعلوم ان المربّی يطاع أمرهُ، فلاجل هذه المناسبة جاء بمعنى المالك و السيد المطاع كما يقال 'رب المال' و'رب الدار'. فكل من جعله المرء رازقاً مربياً،

يرتجي منه العطف ويأمل منه الأمن والرقى والعزة ويخشى ان سخطه يجلب عليه الضرر وينغص الحياة ويحسبه مالكا وسيداً يطيعه فى ما يامره ولا يعصى له امراً فهو ربه. أَوَبعد ما عرفت من معنى الكلمتين واستأنستَ بمغزاهما، تحسبُ انه يوجد شيء في ما خلق الله من السماوات والارض، يقوم فى وجه الانسان ويقول له: "انى إلٰهُكَ وربك فاعبدنى"؟ أَيَدَّعى ذلك البحرُ اوالشجرُ او الحَيَوَان اوالشمسُ اوالقمرُ او غيرها من الاجرام النيرات فى السماء؟ لا، لا، والله، لا يقوم فى وجه الانسان شيء من هذه يَدَّعى الالوهيَّةَ والربوبية، بل انما هوالانسان وحده يقوم فى وجوه البشر بدعوى الالوهية، وانه هوالانسان وحده الذى يَبعثه حبُّ الاقتدار وهوى الاستعمار على ان يجعل نفسه اِلها لغيره من ابناء نوعه، يستعبدهم ويُنفذ امره فيهم، ويقهرهم على الانقياد والطاعة، ويجعلهم آلة لتحقيق هواه؛ فلم يعرفِ الانسان بعدُ شيأ أَلَذَّ واحلى من تأليه نفسه. فكل من نال شيأ من المال اوالقوة او رُزق شيأ من الدهاء والنبوغ، تُسَوِّلُ له نفسه ان يستكبر ويعتدى حدودَه الفطرية ويرق عرش الالوهية، ويستعبد كُلَّ من حوله من الناس المستضعفين والفقراء الذين لا يجدون للقيام فى وجهه سبيلا.

فالذين ينتحلون الالوهية وَيتطلّعون اليها هم نوعان، وهما يسلكان فى هذا الامر طريقين مختلفين. فالنوع الاول هو من عنده جراءة شديدة او تهيأ له من الوسائل ما يراه كافيا لتحقيق هواه الكاذب من غير استخفاء ومواربة. ولنضرب لك فرعون مثلاً، الذى اغتر بما قد آتاه الله من جلال الملك وابهة السلطان، وبما كان عنده من القوة وعتاد الحرب، فنادىٰ فى المصريين "أنا ربكم الأعلىٰ" "وما علمت لكم من إلٰه غيرى". وقد بعث الله موسى نبيه اليه والى قومه، فدعاه الى الصراط المستقيم وقال له: "هل لك إلىٰ أن تزكّىٰ وأهديك إلى ربك فتخشىٰ" وأراه الآية الكبرىٰ وقال: "اعبدوا الله ما لكم من إلٰه غيره" وطالبه بان يخلّى سبيل بنى اسرائيل ويطلق سراحهم، فاجابه فرعون بقوله "لئن اتخذت إلٰهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين." وكذلك الملك الذى حاجّ سيدنا ابراهيم عليه الصلواة والسلام والذى ذكره الله تعالى فى كتابه، فقال، عز من قائل: ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم

فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ. وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ -

(البقرة : ٢٥٨)

فَتَدَبَّرْ لِمَ اخذته البهتة؟ لانه لم يكن منكرا لله، بل كان يعتقد ان الله هو سيد الكون وبيده مقاليد السموات والارض وهو الذى بأمره تطلع الشمسُ وتغرب؛ فالنزاع لم يكن فى انه من رب السماوات والارض ومن بيده ملكوت كل شيء؟ بل كان جداله فى من هو مالك رقاب الناس فى ارض بابل؟، فلم يكن من دعواه انه هو (الله) بل كان يقول انى رب هذه البلاد واهلها، ولم يكن يقول بذلك الا لأنه كانت اعنة امور المملكة بيده، قبضاً على رقاب الناس يتصرف فيهم وأىَّ تَصَرُّفٍ ويسوقهم بعصا سلطانه حيث شاء وشاءت اهواؤه، وكان يجد فى نفسه قدرةً على ان يضرب عنق من يشاء ويُطلق سراح من يشاء من رعيته؛ وقد كان يشعر بأن قوله حكم لامَرَدَّ له، وامره نفذ فى البلاد، لا يعترض دونه معترض، ولا يتعرض له احد باستنكار. ولاجل ذلك طلب من ابراهيم الخليل ان يعترف له بالربوبية وينقاد لامره ويعبده كما يعبد الناس ولكن لما قال له

ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه ـــ "بانى لا اعرف لى ربا الا رب السماوات والارض، وهو رب العالمين، ولا اعبد الا اياه، وهو الذى تعبده هذه الشمس فى مطلعها ومغربها" ـــ لمَّا قل له ابراهيم ذلك بُهِتَ وتحيّر؛ وما تحيّر الا لانه لم يدر كيف يُسايِر مثل هذا الرجل فى الحجة ويقارعه فى الكلام.

فهذه الالوهية التى ادعاها فرعون ونمرود، ليست هى بقاصرة عليهما بل تجد الملوك فى كل ارض وفى كل زمان ينتحلون تلك الالوهية ويَدَّعونها؛ فهذه بلاد الفرس كانت تخاطب ملوكها بلفظ (خدا) و (خداوند) وكانوا يقومون لهم بجميع ما يكون من آداب العبودية، والحال انه لم يكن فيهم من يحسب الملك (خدائے خدائگان) يعنى الله، ولا كان الملوك انفسهم يَدَّعُونَ ذلك، وكذلك ترى البيوتات الحاكمة فى الهند كانت تنتمى نسَبها الى الآلهة (ديوتا) ـــ فهناك اسرتان تعرفان حتى اليوم (سورج بنسى و چندر بنسى) اى ذرية الشمس وذرية القمر ـــ وكان اهل الهند يخاطبون ملوكهم بكلمة "اَنّ داتا" ـــ اى الرّزاق ـــ ويسجدون لهم، والحال انهم

ما كانوا يعتقدون فى ملوكهم انهم هم پرميشور ـــ اى الله ـــ

وهولاء الملوك ايضاً لم يكونوا يَدَّعُوْنَ ذلك. وما زال الناس

فى العصور الغابرة سائرين على هده الخطة، وكذلك حالهم

اليوم فى سائر ممالك العالم ولا تزال تُستعمل فى بعض البلاد للملوك

الفاظ مترادفة لكلمتى الاله والرب. واما البلاد التى

لاتستعمل فيها الالفاظ الصريحة فهناك نجد هذه الروحَ سارية

فىالنفوس، فانه ليس من الضرورى لهذا النوع من دعوى الالوهية

ان ينادىَ الرجلُ فى الناس بأنى إلهكم و ربكم، لا، بل كل من

يملك علىالناس قلوبَهم واجسامهم ويحتكم فى دمائهم واموالهم

بما يشاء، ويسوقهم بعصا سلطانه المطلق و السيادة المستبدة التى

سلّطها على الناس فرعون ونمرود لعهد هما، فهو يدعى الالوهية

والربوبية حقيقةً ومعنًى، وان لم يتفوهً بالفاظها؛ والذين هم

يُطيعونه وينقادون لامره فهم يسلّمون لهم الالوهية والربوبية،

وان لم تجر هذه الالفاظ على السنتهم. و بالجملة ان نوعا

من البشر يدعى الالوهية و الربوبية مباشرة من غير استخفاء.

و هنالك نوع آخر لم يتهيأ له من القوة والوسائل المادية

ما يؤهله للقيام بهذه الدعوى الخطيرة واخضاع الناس لارادته،

فهم يتسلحون باسلحة من الشعوذة والدجل.... ... ويسحرون بها قلوبهم والبابهم فيعمدون الى روح اوآلهة (ديوتا) او وثن او قبر او كوكبة او شجرة فيجعلونها إلهاً وينادون فى الناس ان هذا الهكم وله قدرة على ان ينفعكم اويضركم، وهو يقضى حاجاتكم وهو وليكم وناصركم؛ فان لم ترضوه ليأخذنكم بانواع من القحط والمرض والآلام، وان ارضيتموه وطلبتم منه النصر فهو ينصركم ويأخذ بايديكم. ولكن لا يعلم طرق إرضائه وجلب عنايته احد سوانا، فاجعلونا وسيلة للوصول اليه، وعظّمونا وارضونا واجعلو فى ايدينا كل ما يكون لكم من النفر والمال والعرض. فكثير من حمقى الناس يقعون فى شركهم الذى نصبوه لهم؛ وبمثل هذه الصورة، وبواسطة هاتيك الآلهة الكاذبة الباطلة تقوم دعائم الوهبة هؤلاء المشعوذين من سَدَنَةِ المعابد وخَدَمِهِمْ، ويحتكمون فى مقادير الناس بما يشاؤون وتشاء شهواتهم الدنيئة.

ومن هذا النوع رجال آخرون يحترفون لهذا الغرضِ الكَهَانَةَ والتنجيم واستخراج الفال وكتابة التعاويذ والرقى. ومنهم من يعترفون بانهم عباد الله مثل سائر الناس، ولكن يرون انه

لا يمكن الوصول اليه، تباركت اسماؤه، مباشرة من دون واسطة، وانهم هم الذين يُتقرّب بهم الى الله؛ ومن هناك دعوتهم للناس "ان هلموا الينا وقوموا له بما شئتم من آداب العبودية ونسكها متوسلين بنا فى كل ما يطرأ كم من المهد الى اللحد". ورجال منهم يستبدون بكتاب الله ويتخذون انفسهم حملة له من دون غيرهم، فيحرمون العامة علمه وينفذون فى الناس احكامهم، يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يريدون، زاعمين ان الله ينطق بالسنتهم، وبمثل هذه الحيلة يقهرون الناس على ان يتبعوهم ويتخذوهم ارباباً من دون الله. وهذا هو الاصل للبرهمية والبابوية السائدة فى مختلف انحاء المعمورة الى يومنا هذا بصور مختلفة وباسماء متنوعة؛ وهى التى اتخذت منها بعض الشعوب والقبائل والبيوتات آلة وحيلة لسيادتهم على الناس وتملكهم عليهم. واذا نظرت الى المجتمع الانسانى من هذه الوجهة، استيقنت نفسك ن منبع الشرور والفساد الحقيقى انما هى "الوهية الناس على الناس"، اما مباشرة، واما بواسطة، وهذه هى النظرية المشؤومة التى تولد الشر من بطنها فى اول امره، وهى التى لا تزال تنفجر منها عيون الشر اليوم فى كل مكان.

أما الله فانه عليم باسرار الفطرة البشرية، فلا تخفى عليه خافية من شرور النفوس واهوائها. ولكن التجارب التاريخية طوال القرون الماضية المتطاولة المترامية الجوانب قد جعلتنا ايضاً فى بينة من الامر و حققت لنا تحقيقاً ان الانسان لايمكن له ان يعيش من غير ان يتخذ لنفسه إلهاً و رباً، ولا يستقر له قرار اذا لم يكن له رب او إله، فلا يتخلص البشر من الاله والرب، وان لم يرض بالله ربا والهاً. فحينذاك يتسلط عليه جنود مجندة من الارباب والآلهة الباطلة.

وان كنت فى ريب مما قلت آنفا، فانظر الى الحزب الشيوعى فى روسية، أليس الذين بيدهم زمام مكتبه السياسى (Political Bureau) اربابا من دون الله آلهة لاهل البلاد؟ وأليس استالن كبيرهم وبطلهم، ربهم الاعلى؟ وهل فى بلاد الروس من قرية او مزرعة (Farm) تخلو من صور إله الروس وطاغيتهم هذا؟ وهل أتاك حديث القوم كيف افتتحوا النظام الاشتراكى فى القطعة التى استولوا عليها من بولونيا؟ قد بعثوا الوفا من النسخ لصورة استالن فَبُثَّتْ فى كل قرية قرية ليعرفوا اولاً، وقبل كل شيء، إلههم العظيم وربهم الكبير ثم

يدخلون فى الدين البلشفى؛ فعلام تال مثل هذه الاهمية رجل مثلنا، خلق من ذكر وانثى؟ ولأى سبب يسلط رجل — وان كان يمثل جماعة (community) — على رؤوس ملايين من البشر وارواحهم بحيث تجرى عظمته وكبرياؤه فى عروقهم وشرايينهم؟ أليس هذا من اساليب تسليط الاستبداد الشخصى؟ و من هناك تعرف كيف يصير البشر إلهاً لبشر مثله؟ و بمثل هذه الطرق تتولد الفرعونية والنمرودية و الزارية والقيصرية وتتأصل جذورها فى كل زمان.

و هكذا الحال فى ايطالية، تجد المجلس الفاشىّ الكبير مجمع الآلهة و ناديهم؛ وموسولينى الههم الاكبر. وكذلك ترى فى المانية زعماء الحزب النازى، كانهم آلهة من دون الله، و على رأسهم إلهُهم الاكبر هتلر. ولا تحسبن انكلترا الجمهورية خلواً من اُولئك الآلهة الباطلة، على تشدقها بالدمقراطية (Democracy). أَوَلا ترى الى نظار مصرفهم الكبير (Bank of England) و عدد من الطبقة العليا من اصحاب الثروة، كيف اخضعوا رقاب الجمهور لمطامعهم الاشعبية؟ وهكذا شأن امريكة، فان الماليين منهم — وربما لايتجاوزون عدد الانامل — قد استبدوا بموارد الثراء باسرها واحتكموا فى نفوس الامة

واموالها ودمائها. فاصبحوا بفضل ثروتهم آلهة للامة الامريكية. وبالجملة انك حيث ما وجهت نظرك وجدت ان امة اتخذت نفسها الهاً لقوم آخرين اوطبقة سلطت الوهيتها على طبقات اخرى، اوحزبا سياسياً استولى على مناصب الالوهية والربوبية واستبد بها اوتجد مسيطراً (دكتاتورا) ينادى للملأ "ما علمت لكم من إله غيرى". فلم يبق البشر فى أى بقعة من الارض من غير اله.

ثم انظر ماذا يكون من ثمرات الوهية الناس على الناس وما يترتب عليها من عواقب وشرور؟ فمثلها فى ذلك كمثل سفيه يناط به رياسة الشرطة اورجل سيء الخلق يتبوأ كرسى رئيس الوزراء. فان نشوة الالوهية بطبيعتها تخرج المرء من حدوده؛ وان لم يخرج وبقى معتدلا فى فكره، فهل للبشر ذلك العلم المحيط وذلك العدل والتعفف والتزهد فى مطامع الدنيا والتجرد عن الشهوات التى يحتاج اليها فى الالوهية؟ ومن ثم ترى أن كل مكان قامت فيه ألوهية الناس على الناس، قد فشا فيه الظلم والجور والاستثمار الممقوت والتكبر فى ارض الله بغير الحق، وحرمت الروح البشرية حريتها الفطرية وغولبت العقول البشرية على امرها وَغُلَّتْ طبائعها الفطرية وخصائصها الفكرية بانواع من الاغلال،

ومنعت الشخصية الانسانية كمال نشوئها وارتقائها. فما اصدق ما قال سيد البشر سيدنا ومولانا النبي العربي صلى الله عليه وسلم "قال الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم من دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم." (1)

فقد تبين لك أن الوهية الناس انما هى اصل كل المصائب والدمار، وهى اصل جميع ما مُنى به البشر اليوم من البؤس والشقاء؛ وهذا هو الداء الذى افسد اخلاق البشر وروحانيته وقواه العلمية والفكرية، وكذلك اكلت مدنية الناس وحياتهم الاجتماعية وسياستهم ومعايشهم؛ وبلفظة اخرى ان هذا الداء قد أكل انسانية البشر كما تأكل المرء حُمّى الدق —— اكل الانسانية منذ اقدم عصور التاريخ الانسانى ولايزال يأكلها الى عصرنا هذا —— فليس لهذا الداء من دواء إلا ان يقوم الانسان فيكفر بالطواغيت جميعاً ويؤمن بالله العزيز الذى لا إله إلا هو ويخصه، تقدست اسماؤه، بالالوهية والربوبية. فهذا هو الطريق الوحيد لنجاة البشر من براثن ذئاب الانسانية وقطاع سبيل البشرية. فانه لن يتخلص من كثير من اولئك الطواغيت والآلهة الباطلة إلا بالايمان

(1) الصحيح لمسلم —— مشكواة المصابيح باب الانذار والتحذير

بالله العزيز الحميد، وإن ادعى الالحاد وتشدق بالدهرية.

فهذا هو الصلاح الحقيقى الذى ظهر فى المجتمع الانسانى على ايدى رسل الله الكرام. وهذه هى النظرية الصالحة التى بعثت الانبياء بها الى الناس؛ فانهم قد ارسلوا لتحطيم سلاسل العبودية البشرية، عبودية الناس للناس وبُعثوا ليخلصوهم من الظلم الغشوم، من عبودية الآلهة الكاذبة، من الاستعمار والاستثمار الجائر ـــ قد بعثوا لِيُخَفِّفُوا من غُلَواء من جاوزوا حدود البشرية ويفثأوا حميهم حتى يعيشوا فى الحدود التى قدرها الله لهم؛ ويرفعوا الذين ظلمهم البشر مثلهم وارهقوهم بصنوف من العذاب، ثم يجمعوا كلهم على كلمة واحدة وتحت نظام للحياة الانسانية عادل، لا يكون فيها احد عبداً لاحد ولا معبودا، بل يكونون جميعاً عباداً لله وحده. فجميع رسل الله الى الخلق، من لدن ابى البشر سيدنا آدم عليه السلام الى سيدهم وخاتمهم، مولانا النبى العربى صلى الله عليه وسلم، كانت رسالتهم الى الخلق واحدة. وها هى بلسان الوحى: "يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ". هذه هى المقالة التى قالها نوح وجاء بها هود ودعا اليها صالح وشعيب[1] صلوات الله عليهم اجمعين. وبذلك نادى

---

(1) راجع: القرآن الكريم (سورة هود: الايات: ٢٦، ٥٠، ٦١، ٨٤)

وا ليها دعا سيدنا ومولانا النبي الامي العربي صلوات الله عليه وسلامه، كما ورد في التنزيل :—

إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ.

(ص : ٦٥، ٦٦)

إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ . . . . . وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ. أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.

(الاعراف : ٥٤)

ذَالِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ.

(الانعام : ١٠٢)

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (البينة : ٥)

تَعَالَوْا إِلٰى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ.

(آل عمران : ٦٤)

فهذا هو النداء الرباني الذي حرر العقول والافكار وكل ما أوتي البشر من القوى العقلية والمادية من اغلال العبودية التي

كان البشر يرسف فيها ووضع عنهم اصرهم الذى كانوا يرزحون تحته.
فالحق ان هذا كان منشوراً عاماً (charter) للحرية البشرية الحقيقية.
وبذلك أتى الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه:

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.

(الاعراف: ١٥٧)

النظرية السياسية فى الاسلام ومبدأها الاساسى

فهذه العقيدة هى روح ذلك النظام الذى أسس بنيانه الانبياء عليهم السلام ومناط أمره وقطبه الذى تدور رحاه حوله، وهذا هو الاساس الذى ارتكزت عليه دعامة النظرية السياسية فى الاسلام.
فانه من مبادئ قواعد السياسة الاسلامية ان ينتزع جميع حقوق (powers) الامر والتشريع من ايدى البشر منفردين و مجتمعين ولا يؤذن لاحد منهم ان ينفذ امره فى بشر مثله فيطيعوه أو يسنّ دستوراً لهم فينقادوا له ويتبعوه. فان ذلك امر مختص بالله وحده لايشاركه فيه احد غيره، كما قال هو فى كتابه:

إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ. ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ.

(يوسف: ٤٠)

يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ. قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ.
(آل عمران: ١٥٤)

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ. (النحل: ١١٦)

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.
(المائدة: ٤٥)

فهذه الآيات تصرح ان الحاكمية (Sovereignty) لله وحده، وبيده التشريع وليس لاحد ـــ وإن كان نبيا ـــ ان يأمر وينهى من غير ان يكون له سلطان من الله. والنبي ايضاً لا يتبع الا ما يوحى اليه (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ)، وما وجب على الناس طاعة النبي الا لأنه لا يأتيهم إلا بالاحكام الالهية. قال الله عزوجل: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ.
(النساء: ٦٤)

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ (الانعام: ٨٩)

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا

رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ.

(آل عمران : ٧٩)

فالخصائص الأوّلية للمملكة (State) الاسلامية، كما يظهر من الآيات التى ذكرناها، ثلاث:

(i) ليس لفرد أو اسرة وطبقة او حزب اولسائر القاطنين فى المملكة نصيب من الحاكمية (Sovereignty)، فان الحاكم الحقيقى هو الله، والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده. والذين من دونه فى هذه المعمورة انما هم رعايا فى سلطانه العظيم.

(ii) ليس لاحد من دون الله شىء من امر التشريع، والمسلمون جميعاً ـــ ولوكان بعضهم لبعضهم ظهيراً ـــ لا يستطيعون ان يشرعوا قانونا، ولا يقدرون ان يغيروا شيئاً مما شرع الله لهم.

(iii) ان المملكة الاسلامية لا يؤسس بنيانها الا على ذلك القانون والشرع الذى جاء به النبى من عند ربه، مهما تغيرت الظروف والاحوال. والحكومة (Government) التى بيدها زمام هذه المملكة، لا تستحق طاعة الناس الا من حيث انها تحكم بما انزل الله وتنفذ امره تعالى فى خلقه.

نوعية المملكة الاسلامية

فكل من نظر الى هذه الخصائص التى ذكرناها آنفا، علم لأوّل وهلة ان المملكة الاسلامية ليست ديمقراطية (Democracy)، فان الديمقراطية عبارة عن منهاج الحكم الذى يكون فيه السلطة للشعب جميعاً، فلا تغير فيه القوانين ولا تبدل الا برأى الجمهور، ولا تُسَن الا حسب ما توحى اليهم عقولهم. فلا ينفذ فيه من القانون الا ما ارتضته انفسهم؛ وكل ما لم تسوغه عقولهم يضرب عرض الحائط ويخرج من الدستور اخراجا.

فهذه خصائص الجمهورية، وانت ترى انها ليست من الاسلام فى شىء. فاذن لا يصح اطلاق كلمة الجمهورية او الديمقراطية على نظام المملكة الاسلامية، بل اصدق منها تعبيرا كلمة "المملكة الالهية" او "الثيقراطية (Theo-cracy)" ولكن الثيقراطية الاوربية تختلف عنها المملكة الالهية (الثيقراطية الاسلامية) اختلافا كليا، فان اوربة لم تعرف منها الا التى تقوم فيها طبقة من السدنة (Priest class) مخصوصة، فتشرع للناس قانونا من انفسهم[1] حسب ماشاءت اهواؤهم واغراضهم ويسلطون الوهيتهم على عامة اهل البلاد متسترين

---

(۱) لم يكن عندالبابوات والقساوسة المسيحين شىء من الشريعة الا مواعظ خلقية ماثورة عن المسيح عليه السلام. ولاجل ذلك كانوا يشرعون القوانين حسب ما تقتضيه شهوات انفسهم ثم ينفذونها فى البلاد قائلين انها من عندالله، كما ورد فى التنزيل:

فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عندالله. — (البقره).

وراء القانون الالهى؛ فما اجدر مثل هذه الحكومة ان تسمى بالحكومة الشيطانية منها بالحكومة الالهية.

واما المملكة الالهية التى جاء بها الاسلام، فلا تستبد بامره طبقة من السدنة أو المشايخ، بل هى تكون فى أيدى المسلمين عامة؛ وهم الذين يتولون امرها والقيام بشؤونها وفق ماورد به كتاب الله وسنة رسوله. ولئن سمحتم لى بابتداع مصطلح جديد لآثرت كلمة "الثيقراطية الجمهورية" (Theo-democracy) او "المملكة الالهية الجمهورية" لهذا الطراز من نظم الحكم؛ لانه قد خُوِّل فيها للمسلمين سلطان شامل لجميع طبقاتهم، منحصر فى دائرة محدودة (limited popular sovereignty)، وذلك تحت سلطة الله القاهرة، (paramountcy) وحكمه الذى لا يغلب. ولا يتألف الهيئة التنفيذية (Executive) الا باراء المسلمين، وبيدهم يكون عزلها عن منصبها. وكذلك جميع الشؤون التى لها علاقة بتدبير الملك وسائر المسائل التى لا يوجد عنها فى الشريعة حكم صريح، لا يقطع فيها بشىء إلا باجماع المسلمين؛ وكلما مست الحاجة الى ايضاح قانون اوشرح نص من نصوص الشرع لا يقوم ببيانه طبقة او اسرة مخصوصة فحسب، بل يتولى شرحه وبيانه كل من بلغ درجة الاجتهاد من عامة المسلمين. فمن هذه الوجهة

يعد الحكم الاسلامى ديمقراطياً (Democracy)، الا انه ـــــ كما تقدم لنا ذكره من قبل ـ اذا وجد نص من نصوص الكتاب والسنة فى شأن من الشؤون فليس لامير من امراء المسلمين او مجتهد أو عالم من علمائهم ولا لمجلس تشريعى (Legislature) لهم، بل ولا لجميع المسلمين فى العالم ان يصلحوا او يغيروا منه ولو قيد شعرة. فادن هى ثيقراطية (Theocracy) أى مملكة الهية.

دفع شبهة

ولرجل ان يقف فى هذا المقام ويقول إن الاسلام قد قيد الجمهورية بانواع من القيود والحدود، فمعناه إن الاسلام قد سلب الانسان حريةَ الرأى والفكر؛ والحال انكم تزعمون ـــــ كما ادّعيتم فى ما تقدم ـــــ ان ألوهية الله الواحد تخول الناس حرية العقول والافكار والقوى البشرية جمعاء. فالجواب إن الله لم يخص امر التشريع لذاته ليساب الناس حريتهم الفطرية، بل خصه لنفسه لحفظها وصونها من اعتداء المعتدين، فانه تعالى اراد بذلك ان لا يضل الناس فيسلكوا طرائق قدداً ويقعوا فى المهالك.

وهذه الجمهورية الغربية المموهة التى يتشدقون عنها بان فيها سلطاناً للجمهور (Popular sovereignty)، اذا سبرت غورها وانعمت النظر فى دخائلها، علمت ان الذين تتكون منهم المملكة (State)

لايسن كلهم القوانين ولا ينفذونها جميعا، بل يضطرون الى تفويض سلطانهم الى رجال يختارونهم من بينهم ليشرعوا قوانين ينفذونها من تلقائهم. ولأجل هذا الغرض يضعون نظاما للانتخاب خاصاً، ولا ينجح فيه إلا من يغر الناس ويستولى على عقولهم وألبابهم بماله وعلمه ودهائه ودعايته الكاذبة. ثم ينفذون ذلك القانون الجائر على العامة بتلك القوة نفسها التى خولتهم إياها العامة، ثم يصبح هؤلاء الناجحون باصوات العامة آلهة لهم، يشرعون مايشاؤون من القوانين، لا لمصالح الجمهور، بل لمنافعهم الشخصية ومصالح طبقتهم المخصوصة التى ينتمون اليها. فهذا هو الداء العضال الذى أصيبت به امريكة وانكلترا وسائر البلاد التى تدعى اليوم بانها جنة للجمهورية ومأوى لها.

وبقطع النظر عن هاتيك المفاسد، إن سلمنا ان القوانين تشرع فى تلك البلاد عن رضى العامة فقد اثبتت لنا التجارب ان العامة لايستطيعون ان يعرفوا مصالحهم فان البشر قد خلقهم الله على ضعف فطرى كامن فى نفوسهم، فيرون فى اكثر امور الحياة بعض جانب من الحقيقة، ولايرون بعضه ولا يكون حكمهم (Judgment) مرتكزا على نقطة العدل عموما؛ وهم فى الغالب يكونون مغلوبين على أمرهم من العواطف والميول، بحيث لايرون رأيهم من الوجهة العقلية

والعلمية الخالصة الا قليلاً، بل ربما تتجلى لهم الحقيقة من الوجهة العقلية والعلمية فيرفضونها لاجل غلبة العواطف والشهوات على انفسهم. وعندى امثلة لذلك كثيرة، ولكن حذرا من اطالة الكلام اقتصر على مثال واحد. وهو "قانون منع الخمر الامريكى" (Prohibition Law) فان الامة الامريكية قد تحقق لها من الوجهتين العقلية والعلمية ان الخمر ضارة للصحة ومفسدة للقوى الفكرية وهدامة لبناء المدنية الانسانية. فنظراً الى هذه الحقائق، اصر الرأى العام الامريكى على المملكة ان تتخذ قانوناً يمنع شرب الخمر. فقررت المملكة هذا القانون بآراء العامة واصواتهم. ولكن لما انفذته فيهم، لم يلبث الذين وُضع القانون بآرائهم واصواتهم ان خرجوا عليه وبدأوا يسعون فى الارض فساداً بتعاطى الخمر والابداع فى صنعتها على استخفاء والتفنن فى اخبث انواعها، اكثر مما كانوا من قبل يتعاطونها ويشتغلون بها وكثرت فيهم المنكرات والفواحش الى حد بالغ، حتى اضطروا الى ان يقوموا بنقض ما عاهدوا انفسهم عليه وباحلال ما كانوا قد حرموه؛ فعلام أُحِلَّت أم الخبائث؟ أو قدعادت الضارة عندهم نافعة بدليل علمى او عقلى؟ بل

لأن أمارتهم بالسوء قد استولت على انفسهم واستسلموا لها قيادهم.
فكأن كل واحد منهم قد اتخذ إلٰهَهُ هواه، فاصروا فى عبودية
الههم الباطل على نسخ القانون الذى وضعوه بعد ما اعترفوا بصحته
اعترافا عقليا وعلمياً. هذه تجربة قد جربتها مملكة متمدينة
بمرأى منا ومسمع؛ وفى التاريخ تجارب اخرى كثيرة توضح
لنا ان الانسان لا يستطيع ان يكون شارعاً لنفسه من نفسه، فانه،
وان نجا من شرور عبودية الآلهة الكاذبة، فلايمكن تخلصه من
تعبد شهواته الجاهلية والاستسلام لنزغات الشيطان الكامن فى
نفسه. فالبشر فى أشد حاجة الى ان تحد حريته بحدود ملائمة
للفطرة الانسانية؛ وذلك لمصالحه ولمصالح الاجتماع، وهو المحافظة
على الشرف الانسانى.

ونظراً الى هذا الغرض الاسمى قيد الله تعالى الحرية الانسانية
بقيود، كما قلت؛ وهى التى تسمى فى لغة الاسلام "بحدود الله"
(Divine Limits). فالحدود الالهية تشتمل على عدد من الاصول
والمبادئ والاحكام القطعية، لتكون الحياة الانسانية قائمة على الحق
والعدل، لا تحيد عنه ولاتتزحزح؛ فهذه اسوار للحرية منيعة،
لايجوز لاحد ان يتجاوزها. نعم، يجوز لهم ان يضعوا قوانين

فرعية (Regulations) فى ضمن حدودها لما يعرض لهم من الحوادث.

امّا اذا تعداها احد فلابد أن يختل نظام المجتمع البشرى أيما اختلال.

المقصود من وراء حدود الله

وانى اضرب لك مثلا الحياة الاقتصادية، فانها ان جعلت مطلقة امتلأت الارض شروراً وفساداً. ولكن الله الحكيم ذكر لها فى كتابه حدوداً، وهى اثبات حق الملكية الفردية والامر بأداء الزكاة وتحريم الربا والميسر وماحدث فى هذا العصر من كثير من انواعه وقانون الارث وطرق كسب الرزق وجمع المال وانفاقه ـــ فهذه حدود ان ذكرها الانسان وراعاها فى امور حياته تبقى حريته الشخصية (Personal liberty) سالمة غير ضائعة ولا مسلوبة. هذا فى جانب، وفى جانب آخر لا تتولد من تسلط طبقة على اخرى تلك الحال الشنيعة التى مبدأها الرأسمالية (Capitalism) الغاشمة ومنتهاها سيطرة (دكتاتورية) العمال.

وكذلك انظر الى الحياة البيتية (Family life)، فانها إن أرسلت حبلها على غاربها اصبحت الدار ملأى من الظلم والجور، والشياطين تبيض فيها وتفرخ؛ ولكن الله قيدها بالحجاب الشرعى

وقوامية الرجل و بين حقوق الرجل والمرأة والاولاد، واحكام الطلاق والخلع وحكم تعدد الازواج تحت شروط، وحدود الزنا والقذف — بين الله كل ذلك ليحد حياة البيت بحدود حكيمة ملائمة للفطرة البشرية، لو راعاها الانسان وعمل بها فى البيت لاصبح البيت جنة فيها هناء وسرور، ولن يتدفق فيه سيل حرية النساء الشيطانية التى تهدد اليوم الأمن والسلام العالمى، وتنذر القضاء على المدنية الانسانية.

وكذلك قد بين الله فى كتابه حدوداً للتمدن الانسانى وحياة البشر الاجتماعية، كالقصاص فى القتل وقطع اليد فى السرقة وحرمة الخمر وحدود الستر للعورة وغيرها من الاصول الثابتة الراسخة؛ وذلك ليوصد باب الشر والفساد ايصاداً كاملاً الى الأبد. والأسف انى لا أجد متسعا فى الوقت لأفصل القول فى حدود الله والقى عليكم بيانا جامعاً، يعلم منه ما لكل حد من حدود الله من اهمية عظيمة و تأثير كبير فى اقامة الحياة الانسانية على الحق والنصفة؛ ولكن الذى أريد ان ابين لكم الآن، ولو اجمالاً، أن الله قد رزق الانسان بهذه الحدود نظاماً مستقلا ودستوراً (Constitution) جامعاً لا يقبل من التبديل والتغيير شيئاً، ولا يسلب الانسان حريته ولا يعطل قواه الفكرية والعقلية؛

بل ينهج للنوع البشرى طريقاً مستبيناً وصراطاً مستقيماً،
لئلا يضل فيقع فى مهوى الحياة بجهله وضعفه المفطور عليه ولا
تضيع قوته وسعيه فى طريق الباطل، وليسلك سبيل الفلاح الحقيقى
سلوكا مستقيماً غير ضال ولا زال؛ فمثله كمثل الطرق فى الجبل.
فلو اتفق لك ان تصعد فى الجبل لرأيت ان الطريق محفوفة
بالمخاطر، ففى جانب هوة عميقة، وفى جانب آخر صخور شماء عالية؛
ولرأيت حوالى الطريق اسلاكا منصوبة من الحديد؛ وذلك
لئلا يسقط المسافر فى الهوة. فهل لقائل ان يقول ان الاسلاك الحديدية
نصبت لوضع العقبات فى سبيل حرية الركب المسافرين؟ لا، بل
انما هى اقيمت ليسلموا من المهالك، ولايقعوا فى المخاطر، نصبت
لتهديهم فى مواطن زلقة ومواضع خطرة الى وجهتهم المستقيمة،
حتى يصلوا منازلهم التى قصدوها. فهذا هو مثل الحدود الالهية
فى الاسلام، فهى تعين لسفر الحياة البشرية وجهة الحق الصحيح
وتهدى الناس فى كل مفترق الطرق والمنعطفات الى طريق الأمن
والسلام وتحولهم عن جميع المتجهات المنحرفة الى متجه قويم.
وهذا الدستور والنظام الالهى، كما قلت الآن، لا يقبل شيئاً
من التبديل والتغير. فان شئت خرجت عليه واعلنت عليه الحرب

كما خرجت عليه تركية وايران واعلنتا عليه الحرب؛ ولكن ليس لك إن تحدث فيه ادنى تغيير. فانه دستور إلهي سرمدي، لا تغيير فيه ولا تبديل، وقد كتب له أن يبقى جاريا فى عباده الى يوم القيامة. فالمملكة الاسلامية متى ما يؤسس بنيانها يؤسس على هذا الدستور. وما بقي كتاب الله وسنة رسوله فى العالم، فلا تحول مادة من قوانينه من مكانها. فمن كان يريد ان يعيش مسلما، فانه محتوم عليه اتباعه والاستمساك به.

غاية المملكة الاسلامية

وللمملكة الاسلامية القائمة على اساس هذه الدستور غاية ذكرها الله تعالى فى كتابه فى مواضع عديدة، منها قوله:—

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ. (الحديد : ٢٥)

فالمراد من الحديد فى الآية هى القوة السياسية. والآية قد بينت ما تبعث الرسل لأجله، وهو ان الله قد اراد ببعثهم ان يقيم فى العالم نظام العدالة الاجتماعية (Social justice) على اساس

ما انزله عليهم من البينت وما انعم عليهم فى كتابه من الميزان

اى نظام الحياة الانسانية العادل. وقال فى موضع آخر:

اَلَّذِيْنَ اِنْ مَّكَّنّٰهُمْ فِى الْاَرْضِ اَقَامُوا الصَّلٰوةَ

وَ اٰتَوُا الزَّكٰوةَ وَاَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ.

(الحج : ٤١).

وقال :—

كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ

(آل عمران : ١١٠)

فمن تدبر هذه الايات اتضح له ان المملكة التى يصورها لنا القرآن ليست لها غاية سلبية (Negative) فقط، بل لها غاية ايجابية (Positive) ايضاً؛ أى ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس بعضهم على بعض و حفظ حرية الناس والدفاع عن المملكة فحسب، بل الحق ان هدفها الاسمى هو نظام العدالة الاجتماعيــة الصالح الذى جاء به كتاب الله. وغايتها فى ذلك النهى عن جميع انواع المنكرات التى ندد بها الله فى آياته واجتثاث شجرة الشر من جذورها و ترويج الخير المرضى عند الله

انبين في كتابه. ففي تحقيق هذا الغرض تستعمل القوة السياسية تارة ويستفاد من منابر الدعوة والتبليغ العام تارة اخرى؛ ويستخدم لذلك وسائل التربية والتعليم طوراً ويستعمل لذلك الرأى العام والنفوذ الاجتماعى طورا آخر كما تقتضيه الظروف والاحوال.

فمن الظاهر انه لا يمكن لمثل هذا النوع من المملكة ان تحد دائرة عملها لأنها مملكة عامة محيطة بالحياة الانسانية بأسرها وتطبع كل فرع من فروع الحياة الانسانية بطابع نظريتها الخلقية الخاصة وبرنامجها الاصلاحى الخاص. فليس لأحد ان يقوم في وجهها ويستثنى امرا من اموره قائلاً إن هذا امر شخصى خاص لكيلا تتعرض له المملكة. وبالجملة ان المملكة الاسلامية تحيط بالحياة الانسانية وبكل فرع من فروع الحضارة وفق نظريتها الخلقية وبرنامجها الاصلاحى، فاذن هى تشبه المملكة الاشتراكية والمملكة الفاشيّة بعض الشبه، ولكن مع هذه الهيمنة (totality) لايوجد فى المملكة الاسلامية تلك الصبغة التى اصطبغت بها الممالك المهيمنة (totalitarian) والاستبدادية (Authoritarian) فى عصرنا هذا. فلا يوجد فى المملكة الاسلامية

شيء من سلب الحرية الفردية ولا أثر للسيطرة (الدكتاتورية) والزعامة المطلقة. فالاعتدال الكامل الذى يوجد فى نظام الحكومة الاسلامية وتلك الخطوط الدقيقة التى خطت فيه بين الحق والباطل يشهدان عند اصحاب البصيرة ان مثل هذا النظام الصالح الوسط لا يضعه الا الله الحكيم الخبير.

المملكة الفكرية والحزبية

هذا، والامر الثانى الذى يبدو لمن انعم النظر فى دستور المملكة الاسلامية وغايته الحكيمة و صورته الاصلاحية' هو أن هذه المملكة لايتولى أمرها الا الذين آمنوا بهذا الدستور' وجعلوه غاية حياتهم ومطمح انظارهم، والذين لم يعتقدوا فى برنامجه الاصلاحى واعلنوا إيمانهم به فحسب، بل يسير دفة امرها رجال تغلغل الايمان فى احشائهم و امتزجت تعاليمه بلحومهم و دمائهم وعلموا تفاصيله علماً جامعاً وافياً، ولا اثر فيه لعامل جغرافى اولونى اولسانى. فان الاسلام يعرض دستوره على الناس كافة، ويبين لهم غايته وبرنامجه الاصلاحى. فمن قبله منهم، أيًّ من كان، والى أيِّ نسل او الى اية ارض او أمة ينتمى، فهو يصلح ان يكون عضوا فى الحزب او المجلس الذى

تكونت هيئته لادارة المملكة. وأما من لم يقبله فلا يسمح له بالتدخل فى شؤون المملكة ابداً. وله ان يعيش فى حدود المملكة كشأن اهل الذمة (Subject) ' يعطى ما بين الله و رسوله من الحقوق لاهل الذمة، وله عصمة من قِبَلِ الاسلام حاصلة فى نفسه و ماله و شرفه؛ ولكن لايكون له حظ فى الحكومة فى حال من الاحوال، لان المملكة مملكة حزب خاص، مؤمن بعقيدة خاصة وفكرة مختصة به. وههنا ايضا نوع من المماثلة بين المملكة الاسلامية و المملكة الاشتراكية، ولكن المملكة الاسلامية بريئة كل البراءة مما تاتى به المملكة الاشتراكية من اعمال مخزية خلاف الذين لا يوافقونهم على نظرياتهم فلا يوجد فى الاسلام ما يوجد فى المملكة الاشتراكية من تسليط آرائها الاجتماعية ومناهجها العمرانية على الناس قهرا بعد التغلب و التمكن فى الارض، و استصفاء اموالهم وسفك دمائهم وتعذيبهم بعذاب من النار والحديد، أو ان يوتى بمئات الوف من الناس فيزج بهم الى سايبيريا ـــ جهنم المعمورة الارضية. وبالجملة أن كل ما اعطى الاسلام لاهل الذمة من الحقوق الامتيازات فى دائرة المملكة وما خط لهم من خطوط بين

الحق والباطل والظلم والعدل، كل من راها واطلع على محاسنها، تبين له ما يكون من التفاوت العظيم بين المصلحين الالهيين وبين الدجاجلة منهم فى اعمالهم وبرامج اصلاحهم.

نظرية الخلافة

هذا، ويجدر بى ان اقول كلمة موجزة فى هيئة المملكة الاسلامية وطراز بنائها. فالحاكم الحقيقى فى الاسلام انما هو الله وحده، كما تقدم الكلام عليه. فبناء على هذه النظرية الاساسية (fundamental) اذا تأملت فى موقف الذين يقومون بتنفيذ القانون الالهى فى الارض، لعلمت انه لا يكون موقفهم الا كموقف النواب عن الحاكم؛ فهذا هو موقف اولى الامر فى الاسلام بعينه. قال تعالى فى كتابه العزيز: "وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ".

فهذه الآية توضح نظرية المملكة (Theory of state) فى الاسلام ايضاحاً مبيناً، فان الله قد بين فيها امرين عظيمين ونكتتين اساسيتين.

فالنكتة الاولى ان الاسلام يستعمل دائما لفظة الخلافة

(Vicegerency) بدل لفظة الحاكمية (Sovereignty). ولما كانت الحاكمية لله خاصة ، فكل من قام بالحكم فى الارض تحت الدستور الاسلامى ، فهو خليفة (Vicegerent) الحاكم الاعلى ، الذى لايتولى إلا ما[1] ولاه المستخلف ــــ أى الحاكم الأعلى ــــ من املاكه وعبيده نيابة عنه .

والنكتة الثانية البديعة فى هذه الآية أن الله قد وعد جميع المومنين بالاستخلاف ، ولم يقل انى استخلف احداً منهم . فالظاهر من هذا ان المومنين كلهم خلفاء الله . وهذه الخلافة التى أوتيها المومنون هى خلافة عمومية (Popular Vicegerency) لايستبد بها فرد او اسرة او طبقة . بل كل مومن خليفة من الله فى موضعه ، وكل واحد منهم مسؤول امام ربه من حيث كونه خليفة كما جاء فى الحديث : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته[2]) . وليس احد منهم بأحطّ منزلة من الآخر مثله فى هذا الشأن من اية وجهة كانت .

مزايا الجمهورية الاسلامية

فكل ما قدمت نف هو اسس الجمهورية الاسلامية ؛ واذا انعمنا

---

(١) هذا مايعبر عنه بالافرنجية كلمة (Delegated Powers)

(٢) متفق عليه ــ مشكوة المصابيح ؛ كتاب الامارة .

النظر فى مبدأ هذه الخلافة العمومية التى جاء بها الاسلام و دققنا فى تفاصيلها ظهرت لنا النتائج الآتية :

(أ) المجتمع الذى يكون كل عضو منه خليفة' لا يتسرب اليه فساد التفريق بين الطبقات و شر الامتيازات التى تأتى من جهة الحياة الاجتماعية (social life) والفوارق النسلية والنسبية؛ ويكون افراد هذا المجتمع سواسية، لا يكون لاحد فضل على آخر الا من جهة الكفاءة الشخصية و السجايا الذاتية. و هذه هى الحقيقة التى بينها النبى ﷺ تبييناً و اوضحها مرارا بكلامه الجزل البليغ : "ليس لاحد فضل على احد الا بدين او تقوى، الناس كلهم بنو آدم و آدم من تراب، لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لابيض على اسود ولا لاسود على ابيض الا بالتقوى[١]"

ولما انضمت بلاد العرب كلها، بعد فتح مكة، الى المملكة الاسلامية. قال النبى ﷺ لعشيرته الذين كانوا يوم ذاك فى بلاد العرب بمنزلة البراهمة فى الهند، قال :-

"يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية

(١) المسند لابن حنبل رحمه الله—منتقى الاخبار مع نيل الاوطار ج ٤ ص ٣١١

وتعظمها بالآباء، ايها الناس كلكم من آدم وادم من تراب، لا فخر للانساب، لا فضل للعربى على العجمى ولا للعجمى على العربى، ان اكرمكم عندالله اتقاكم[١]".

(*ii*) وفى مثل هذا المجتمع لا تحول حوائل، من جهة النسل او من جهة مكانة الرجل فى المجتمع (social status) او حرفته بين فرد اوجماعة وبين كفاءتهم الذاتية وتنمية سجاياهم الفردية وملكاتهم المتنوعة المستودعة فى نفوسهم؛ بل لكل فرد من افراد المجتمع ان يترقى الى ما شاء الله والى ما آتاه الله من استعداد وقوة، من غير ان يمنع الآخرين من التقدم والرقى الفطرى. و هذا ما تجده فى الاسلام الى درجة ليس وراءها مطمح لناظر. فان الموالى وابناءهم قد نصبوا ولاة على الاقاليم وقوادا للعساكر، وقد اتبع امرهم شيوخ البيوتات العليا الشريفة وعاشوا تحت ولايتهم راضين غير كارهين. وكذلك كثير ممن كان يخصف النعال اصبحوا ائمة للناس، والنساجون والبزازون قاموا فى الناس يفتون. وهؤلاء كلهم يعدون اليوم من مشيخة الاسلام والسلف الصالح. وقد ورد فى الحديث ان النبى ﷺ قال: اسمعوا واطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشى[٢]"

---

(١) الجامع للترمذى—مشكوة المصابيح : باب المفاخرة.

(٢) الجامع الصحيح للبخارى—مشكوة المصابيح : باب الامارة.

(*iii*) وفى مثل هذا المجتمع، لا يجد رجل او جماعة سبيلا للاستبداد بالأمر وتبوؤ منصب السيطرة (الدكتاتورية)، لان كل فرد من افراد هذا المجتمع خليفة. وليس من حق جماعة او كل فرد من افرادها ان ينتزع حق الخلافة من جمهور المسلمين وينصب نفسه مسيطراً عليهم. والذى يتولى هذا الأمر فى الاسلام فموقفه الحقيقى ان جمهور المسلمين ــ أو الخلفاء إن اثرنا كلمة مصطلحة ــ قد فوضوا خلافتهم الى رجل منهم وجعلوها مرتكزة (concentrated) فى ذاته لتنفيذ الأحكام و تسيير دفة الأمر بسهولة. وذلك عن رضى منهم واتفاق كلمتهم. فهو مسؤول عند الله فى جانب وبجانب آخر مسؤول عند عامة "الخلفاء" ــ اى المسلمين ــ الذين فوضوا اليه امر الخلافة. فان جعل نفسه بعد ذلك مسيطرا (دكتاتورا) مطاعا على الاطلاق فاذن هو غصب وليس بخليفة، لأن الدكتاتورية بحقيقتها ضد الخلافة العمومية. ومما لا مجال فيه للريب ان المملكة الاسلامية مملكة مهيمنة (totalitarian) محيطة بجميع فروع الحياة و نواحيها. ولكن اساس هذه الهيمنة والاحاطة التامة (totality) انما هو القانون الالهى الجامع الواسع الذى وكل الى الحاكم

المسلم تنفيذه فى الناس. فكل مـا ورد فى الكتاب العزيز من البينات والهدى للناس، شاملة لجميع نواحى حياتهم، انمـا ينفذ فيهم انفاذا محيطاً جامعاً. لكن الحاكم المسلم ليس له ان يتخذ خطة التقييد الاجتماعى (Regimentation)[1] من تلقـاء نفسه معرضا عن محجة الشريعة البيضاء، فيقهر الناس على اختيار حرفة دون اخرى، وكذلك ليس له ان يقهرهم على اكتساب فن دون اخر، او تعليم اولادهم نوعـا من العلوم دون غيره؛ فان الاسلام لم يخول الامير تلك السلطة التى استبد بها الطواغيت المسيطرون (dictators) فى روسية والمـانية وايطاليـة او التى استغلها اتاترك فى تركية.

وهناك نكتـة اخرى مهمة و هى ان كل فرد من افراد المسلمين مسؤول عند الله بصفته الفردية، و هـذه المسؤولية الفردية (Personal Responsibility) لا يشاركه فيها احد غيره. فلا بد ان يعطى كل فرد حرية تامة فى حدود القانون، ليختار مـا يشاء من خطة ويستعمل قوته للتقدم فيما تميل اليه نفسه

---

(١) التقييد الاجتماعى Regimentation؛ هذا اصطلاح جديد اصطلحوا عليه فى البلاد التى استبدت بامرها الدكتاتورية كالمانية و ايطالية. ومعناه ان تُقَيَّدَ سكان البلاد اجمعون بقيود واصفاد من قوانين الحكومة فى جميع نواحى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية. "م"

من سبيل. فان حالت فى سبيله عقبات من قبل الامير، فهو ظلم يعاقب عليه عند الله؛ ومن اجل ذلك لن تجد أثراً مما ذكرت من التقييد الاجتماعى (Regimentation) فى عهد النبى ﷺ و خلفائه الراشدين المهديين.

(iv) ومن حق كل فرد فى هذا المجتمع سواء كان ذكراً او انثى — اذا كان عاقلا محتلما — ان يكون له رأى، لانه منعم عليه بنصيبه من الخلافة العمومية؛ ولم يخص الله تلك الخلافة بشروط خاصة من الكفاءة والثروة، بل هى مشروطة بالايمان والعمل الصالح فحسب، فالمسلمون سواسية فى حق "التصويت" وابداء الرأى.

التوافق بين الفردية والاجتماعية

هذه نبذة مما يوجد فى الاسلام من مزايا الجمهورية الصالحة؛ و بجانب آخر قد سد الاسلام باب الفردية (Individualism) الهدامة للاجتماعية (Socialism). فلا تضيع فى نظام الاسلام شخصية الفرد كما تضيع فى نظامى الاشتراكية و الفاشيّة الاجتماعتين؛ وكذلك لا يتعدى الفرد فى الاسلام حدوده بحيث يكون ضارا للجماعة، كما هو شأنه فى

نظام الجمهورية الغربية. و ان غاية حياة الفرد فى الاسلام انما هى غاية حياة الجماعة بعينها، اى انفاذ القانون الا لهى فى الدنيا وابتغاء و جهه فى الآخرة. و زد على ذلك ان الاسلام قد منح الفرد ما كان يتعلق بذاته من الحقوق و كذلك فرضت عليه و اجبات مخصوصة للجماعة. و بهذه الصورة قد ظهر بين الفردية والاجتماعية فى الاسلام توافق (Harmony) غريب بحيث يتيسر للفرد نماء قوته و ارتقاء شخصيته، ثم يصبح عونا بقوته الراقية فى ما فيه خير و سعادة للمجتمع.

و هذا موضوع مستقل لا يسعنى فى هذا الموقف استيفاء حقه من البيان. وانما اردت مما اشرت اليه آنفا، ان أسد باب سوء التفاهم الذى يمكن للقارئ ان يقع فيه مما جئت من شرح للجمهورية الاسلامية فى الفصل المتقدم.

المملكة الاسلامية وما يتألف منها

ان كنت ذاكراً بعض ما تقدم لى بيانه فى ما سبق من تصور (conception) الخلافة العمومية والاحاطة بفروعة و تفاصيلة، تبين لك ان منزلة الامام اوالامير اوالرئيس فى المملكة الاسلامية ليس إلا ان جمهور

المسلمين ـــ الخلفاء ـــ قد اختاروا افضلهم واتقاهم، فأودعوه امانة الخلافة. وأما تسميته بالخليفة، فليس معناه انه هو الخليفة وحده، بل معناه ان خلافة المسلمين العمومية اصبحت مرتكزة (concentrated) فى ذاته.

وها انا مفض اليكم بشىء من التفاصيل عن منهاج الحكم الاسلامى، ولو على وجه الاجمال، لتنجلى لكم منه صورة واضحة، وبيد الله التوفيق :ـ

اولاً ـــ ان انتخاب الامير لا يكون الا على اساس الآية الشريفة: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) اى لا ينتخب للامارة إلا من كان المسلمون يثقون به وبسيرته. فاذا انتخبوه فهو ولى الامر، المطاع فى حكمه، لا يعصى له امر ولا نهى، ويعتمد عليه فى تنفيذ الاوامر اعتماداً كاملاً ما دام يحكم بالكتاب والسنة.

ثانياً ـــ الامير الاسلامى ليس له فضل على جمهور المسلمين فى نظر القانون؛ وانما هو رجل كالرجال، يوجه اليه النقد فى ما يتراءى للعامة من الاخطاء فى سياسته للناس والزلات فى حياته الذاتية. فهو يعزل اذا شاءت الامة، وترفع عليه القضايا فى المحاكم ولا يستحق ان يعامل فيها معاملة يمتاز بها عن

غيره من المسلمين .

ثالثاً ـــــ الامير محتوم عليه بالمشاورة في الامر. و مجلس الشورى لا بدان يكون حائزاً ثقة جميع المسلمين . و ليس من المحظور الشرعي ان ينتخب هذا المجلس باصوات (votes) المسلمين وآرائهم، و ان لم يكن له نظير في عهد الخلافة الراشدة .

رابعاً ـــــ والامور تقضى في هذا المجلس بكثرة آراء اعضائه في عامة الاحوال، إلا ان الاسلام لا يجعل كثرة العدد ميزانا للحق والباطل (قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ والطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ). فانه من الممكن في نظر الاسلام ان يكون رجل افرد اصوب رأياً وأَحَدَّ بصرا في مسألة من المسائل من سائر اعضاء المجلس. فان كان الامر كذلك فليس من الحق ان يرمى برأيه لأنه لا يؤيده جم غفير. فالامير له الحق ان يوافق الاقلية أو الاغلبية في رأيها. وكذلك له ان يخالف اعضاء المجلس كلهم و يقضى برأيه. ولكنه من الواجب على جمهور المسلمين ان يراقبوا الامير و سيرته في رعيته مراقبة شديدة، هل هو يتصرف في الامور و يحكم فيها على تقوى من الله و يهوى من نفسه؟ فان رأوه يتبع الهوى في عمله فلهم ان يعزلوه و يخلعوه عن منصبه .

حرساً ـــ لا ينتخب للامارة او لعضوية مجلس الشورى اولأى منصب من مناصب المسؤولية، من يرشح نفسه له او يسعى فيه سعياً ما. فان النبى ﷺ قال (انا والله لا نولى هذا العمل احداً سأله او حرص عليه)[١] وانه ليس فى حدود الاسلام محل للترشح (candidature) للمناصب والدعايات الانتخابية اصلا. ومما يمجه الذوق الاسلامى و تأباه العقلية الاسلامية ان يقوم لمنصب واحد اثنان او ثلاثة او اربعة من طلابه، فينشرون، كل واحد منهم، خلاف الآخر من نشرات تبكى لها المروءة و تندىٰ لها جبين الشرف الانسانى، ويعقدون حفلات لمدح انفسهم و الطعن فى من سواهم، يستخدمون الصحف و الجرائد للدعاية استخداماً، ويغرون اصحاب الاصوات بانواع من الحيل المخجلة ويطمعونهم فى المال وتجرى سياراتهم ليل نهار لتسفيه الناس. ثم ينجح منهم من كان اكثرهم كذباً و ميناً وادهاهم تلفيقاً وتزويرا، ومن كان اشدهم اسرافا للمال. فهذه طرق ملعونة للجمهورية الشيطانية، لو وجد منها من رجل عشر معشارها فى المملكة الاسلامية لعوقب فى المحكمة عقابا شديدا، فضلا عن أن ينتخب

---

١ متفق عليه.

عضواً لمجلس شورى الخلافة

سادساً ـــ وفى مجلس الشورى الاسلامى لا يمكن ان ينقسم اهله فى جماعات واحزاب بل يبدى كل واحد منهم رأيه بالحق صفته لفردية. فان الاسلام يأبى ان يتحزب اهل المشورة ويكونوا مع احزابهم، سواء كانوا على حق او باطل؛ وان الروح الاسلامى لا يدعهم يجروا فى تيار العصبية الحزبية، بل يطلب منهم ان يدوروا مع الحق حيث ما كان ولا يذهبوا الى غير الحق ابداً وان وجدوا اليوم رأى واحد منهم حقا وصوابا، فليكونوا معه؛ وان وجدوا رأى ذلك الرجل نفسه فى مسألة اخرى فى الغد خلافا للحق فليعارضوه.

سابعاً ـــ ان مجالس القضاء والحكم فى الاسلام خارجة عن حدود الهيئات التنفيذية تماما، لان القاضى من وظيفته انفاذ القانون الالهى فى عباده. فلا يتولى الحكم فى مناصب القضاء نائبا عن الخليفة بل عن الله عز وجل. فليس الخليفة فى مجلسه إلا كواحد من الناس وليس لاحد ان يستثنى من الحضور فى مجلس الحكم لاجل شرفه او شرف اسرته او لأجل ما عهد اليه من المناصب الرفيعة. وان الرجل، وإن كان اجيرا او فلاحاً

او فقيراً معدماً، له إن يرفع القضية الى مجلس الحكم على العلية من الناس حتى على امير المومنين نفسه، وللقاضى ان يحكم بالحق ويجرى قانون الشرع على الخليفة، اذا تحققت القضية عليه، كما هو يحكم على رجل من عامة المسلمين. وكذلك اذا كان الخليفة يشكو من احد شكوى تتعلق بذاته، فليس له إن يُطفىء غليل نفسه ممن يشكوه بما عنده من القوة والسلطة التنفيذية، بل هو مضطر — من جهة الشرع — ان يرفع قضيته الى المحكمة كشأن عامة المسلمين.

هذا، ولا يمكننى فى هذه المحاضرة الموجزة ان ارخى عنان الكلام فى خصائص المملكة الاسلامية وتفاصيلها من نواحيها المتشعبة، فان روحها و منهاج الحكم فى دائرة نفوذها، لا يمكن التفطن الى دقائقهما، إلا بعد الاطلاع على مثل من ماجريات المملكة الاسلامية فى عهد النبي ﷺ وخلفائه الرشدين. والأسف ان ضيق نطاق الوقت يعوقنى عن الاطالة و يحملنى على طرق باب الاختصار. و بالجملة فنى ارى أن ما بينتة فى ما تقدم، فيه كفاية لاستجلاء صورة واضحة لطراز المملكة الاسلامية و منهاجها — و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين و صلى الله على خير خلقه محمد و آله الطيبين واصحابه الغر الميامين.

بيان الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٧	بشاؤون	يشاؤون
٨	٩	(الزرخف : ٨٦)	(الزخرف : ٨٦)
٩	٩	فالقيام بالخدمة	. فالقيام بالخدمة
٩	١٣	فى الحقيقه	فى الحقيقة
١٦	٣	وقوموا له بما شئم	وقوموا له بما شئتم
١٨	٢	ولأى	ولأى
٢٤	١٥	لبتر	لبشر
٢٥	٥	اواسرة وطبقة	او اسرة اوطبقة
٢٥	٨	انهم رعايا فى	انهم رعاياه فى
٢٦(حاشيه)	١	المسيحين	المسيحيين
٢٩	٢	بينهم	بينهم
٣٦	٣	الذين	الذين
٣٩	١٦	من الحقوق الا متيازات	من الحقوق والامتيازات
٤١	٧	المومنيى	المومنين
٤٤	١٢	نقسه	نفسه
٤٧	١٦	بفروعة وتفاصيلة	بفروعه وتفاصيله
٤٩	٩	ن يكون	ان يكون
٥٢	١٢	الخلفاءالرشدين	الخلفاء الراشدين
٥٢	١٣	ضيق نطق الوقت	ضيق نطاق الوقت
٥٢	١٤	وفى	فانى
٥٢	١٤	بينتة	بينته

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوتنا

(١) دعوتنا لكافة البشر والمسلمين منهم خاصة، ان يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا الٰها ولا ربا غيره.

(٢) ودعوتنا للذين يقولون بالاسلام ويظهرون ايمانهم بتعاليمه ان يخلصوا دينهم لله ويزكوا انفسهم من شوائب النفاق واعمالهم من مظاهر التناقض.

(٣) ودعوتنا للعالم بأسره ان يحدثوا انقلابا عاما في نظام الحياة الحاضر الذى استبدّ بزعامته الطواغيت والفجرة الذين ملأوا الارض فسادا وأن يُنتزع هذه الزعامة الفكرية والعملية من ايديهم حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدون علوّا في الارض ولا فسادا.

هذه دعوتنا' ولِنَشر كلمتها و تعميم صوتها تأسست 'الجماعة الاسلامية' فى الهند سنة ١٣٦٠ الهجرية. 'ولابلاغ هذه الدعوة الى العالم الاسلامى عامة و بلاد العرب خاصة تأسست 'دار العروبة للدعوة الاسلامية' فرعاً لها منذ ثلاث سنين.

وهانحن قد شرعنا فى ترجمة كتب الدعوة ونشرها بلغة القرآن الكريم. والنية معقودة على اصدار مجلة شهرية مسماة